مقدمة

يعرف العلماء الإنسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر وقد يضيف البعض إلى ذلك تعاريف أخرى منها ذلك التعريف الذى يذكره بعض المشتغلين بالفن وهو أن الانسان حيوان فنان . والحق إن هذا التعريف يصدق على الانسان فى جميع أطواره سواء أكان مصاباً بالبكم أم الخبل وهو فى الوقت نفسه يميزه عن باقى الحيوان . ولا يقتصر الفن على الكبار الراشدين بل إن للأطفال الصغار فناً تفرغ كثير من الباحثين لدراسته وعنى البعض بالاشادة به . ولا يختص الفن بالمتمدينين فإن الجماعات الفطرية لها فن جميل يعجب به كثير من المتمدينين وله أثر كبير فى ظهور أنواع جديدة من الفن الحديث . ويهمنا هنا أن نقرر أنه كان للإنسان فن قبل أن يكون له لغة مكتوبة أو تاريخ معروف فلقد ثبت أن الانسان فى العصر الحجرى القديم منذ نحو من ٣٥ ألف سنة قد أنتج فناً لايزال يشغل علماء الآثار والفنون ففى الوقت الذى لم يكن فيه الانسان قد عرف الزراعة أو استأنس الحيوان أو اكتشف المعادن أو صنع الآنية الفخارية وفى الوقت الذى لم يكن فيه قد استقر فى مجتمع منظم أو سكن فى بيوت مبنية أو ستر عورته برداء منسوج كان الانسان قد توصل إلى ابتداع فن له جماله وروعته لم يستطع خلفه المتمدين أن ينتج مثله إلا بعد مضى عشرات الآلاف من السنين .

ولقد كانت أوربا هى موطن هذا الفن الجميل فى أواخر العصر الحجرى القديم . وكانت تختلف فى شكلها العام ومناخها وبالتالى فى إنتاجها الاقتصادى عنها فى العصور التاريخية . فمن ناحية الشكل العام كانت فرنسا متصلة ببريطانيا فى الشمال وبقبرص فى الجنوب وربما لم تكن القارة نفسها قد تم انفصالها عن افريقية عند اسبانيا وصقلية وإيطاليا .

وأما من ناحية المناخ فكان الجو أشد برودة وكان الجليد يكسو شمالى أوربا طول السنة وجنوبيها فى جزء كبير من السنة .

ولقد تركز هذا الانسان فى المنطقة الواقعة شمالى وجنوبى جبال البرانس ولو أنه كان منتشراً فى باقى أنحاء القارة وربما تركز فى هذه المنطقة لغناها بالكهوف التى كانت تؤويه . وكان يعتمد فى حياته على صيد الحيوان الذى كان كله فى ذلك الوقت غير مستأنس ، ولما كان الشتاء فى ذلك العصر طويلا قاسياً فقد كان الإنسان يقوم أثناء الصيف برحلات صيد قصيرة نحو الشمال حيث حدود الثلج .

ويقسم العلماء أواخر العصر الحجرى القديم إلى عصور حضارية يجدر بنا الاشارة إليها لما سيكون لها من أثر فى دراسة الانتاج الفنى فى هذا العصر . وينقسم هذا العصر إلى أزمنة أربعة يتميز كل منها بحضارة خاصة وقد سميت حسب أماكن

معينة فى فرنسا وجد فيها بشكل واضح المخلفات الأثرية للحضارة المقصودة وأقدمها العصر الأورجناسى ويليه السولترى وبعده المجدالينى ثم الأزيلى ويمكن أن يقسم كل من هذه العصور إلى أزمنة حضارية فرعية وذلك حسب اختلافات أدق فى الأدوات التى وجدت فى الطبقات المتتابعة فى نفس الجهة : ولقد قسم العصر الأورجناسى إلى أورجناسى أسفل وهو أقدمها (لأن سفلى الطبقات أقدمها) ثم اورجناسى أعلى ويسمى هذا العصر احياناً بالبريجوردى . اما المجدالينى فيقسم عادة إلى ٦ أزمنة أقدمها المجدالينى الأول وأحدثها المجدالينى السادس .

وقد استطاع العلماء دراسة حياة الإنسان فى هذا العصر بفضل ما عثر عليه من مخلفات أثرية فى نحو من ٥٠٠ مكان ولقد وجد ان نحوا من ٢٠٠ من هذه الأمكنة يحتوى — فضلا عن المخلفات الأثرية العادية — على مخلفات ذات قيمة فنية . ولقد كان كثير من هذه الأماكن غنياً بتحفه الفنية حتى انه عثر فى بعضها على اكثر من ٣٠٠ تحفة . ولقد ساعدت المخلفات الانسانية الأخرى على دراسة هذه التحف الفنية بخاصة وتفسير الغرض من الفن فى هذا العصر بعامة

ولقد عثر على هذه التحف الفنية مطمورة فى طبقات الأزمنة الحضارية فى المغارات التى كان يقطنها الإنسان فى ذلك الوقت .

وترجع هذه المخلفات الفنية إلى فرعين رئيسيين من فروع الفن وهما النحت والتصوير . ويشمل الانتاج المنحوت تماثيل كاملة وبارزة ومحفورة وهى أحياناً مستقلة بذاتها أو متصلة بأدوات . اما الإنتاج المصور فيشمل صوراً حائطية فى الكهوف والمآوى الصخرية بعضها محفورة وبعضها مرسومة بالألوان . ولم يكن للإنسان فى هذا العصر تحف معمارية لأنه لم يكن يسكن إلا فى المغارات والكهوف الطبيعية ولذا لم يكن هناك ما يحفزه إلى البناء .

obeikandl.com